10me Année No. 487

Lundi - 2 - 11 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	عن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة		
١٠١٣	أمثال أخرى وأفعال . .	الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠١٦	« حديث عيسى بن هشام »	الدكتور زكى مبارك ... ...
١٠١٩	« أرواح وأشباح » ...	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
١٠٢٢	الأزهر والامام محمد عبده	الدكتور محمد البهى ... ..
١٠٢٤	وفاة الامام ابن تيمية . .	الأستاذ أحمد رمزى بك . .
١٠٢٦	ذكرى أم كلثوم	للشاعر التركى ابراهيم صبرى بقلم الأستاذ محمود محمد شاكر
١٠٢٧	إلى المعترضين علينا ...	الأب أنستاس مارى الكرملى
١٠٣٠	إذهب... ... [قصيدة]	الأستاذ على متولى صلاح . .
١٠٣٠	المقابر ... ... «	الأستاذ محمد برهام . ...
١٠٣١	فى جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذة عالم	... ...
١٠٣١	فى نسب العبيديين .	الأستاذ صلاح الدين شفيق

أمثال أخرى وأفعال

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين الروسيين والصينيين مشابهة محسوسة وهى اشتراك كل من الأمتين فى الاتصال بالمغول من طريق المجاورة والمعاشرة والمصاهرة ، واقتباس كل من الأمتين كثيراً من عادات المغول ومأثوراتهم فى القصة والمثل والجديلة . فمن قرأ القصص والأمثال الصينية لم يعدم بينها وبين أمثال الروسيين وقصصهم مشابهة ظاهرة فى الأسلوب والمزاج ، ولم يكد يتخيل بين الأسلوبين فارقاً بعيداً فى غير الحواشى والتفصيلات . أما الجوهر فواحد أو يكاد أن يتوحد كما يتوحد الأقربون والصحبة المتلازمون

فإذا استحضرت أمثال الروسيين وتخيلت قائلها رجلاً واحداً خيل إليك أنه إنسان صبور رصين مستسلم يعرف الدنيا معرفة هادئة ، ويتحدث عنها تحدث سخر ممزوج بالألفة والمحبة ، وهذه هى الصورة التى تبدو لك من قراءة القصص والأمثال الصينية مع فارق يسير تلمحه فى جملة الأمثال وقد تخطئه فى المثل الواحد والمثلين ، ونريد به أن سقل الحضارة أظهر فى أمثال الصينيين ، وأن خشونة البداوة والفلاحة أظهر فى أمثال الروسيين ، ويتفرع على ذلك أن الصينى أقرب إلى السلم ، وأن الروسى أقرب إلى الحرب ، وإن كانا يتلاقيان فى خصلة متماثلة وهى أنهما يباشران الحرب

دفاعاً فيصبران عليها ويستبسلان فيها ، وبباشرانها هجوماً وعدواناً فلا يتحركان طويلاً للهجوم ولا يحتفظان كثيراً بحماسة العدوان

وقد ظهر هذا جميعه فى حرب الصين واليابان وفى حرب الروس والألمان ، فظهرت شجاعة الصينيين وصبرهم كما ظهرت شجاعة الروسيين وصبرهم ، ولم يعهد للأمتين قبل الآن مثل هذه الشجاعة ومثل هذا الصبر فى حروب الهجوم والعدوان

وقد تحولت من أمثال الروسيين إلى أمثال الصينيين كما تتحول اليد من فاكهة إلى فاكهة مثلها على شجرتين متقاربتين فى بستان واحد ، فلم أشعر أنى أبعدت النقلة بين القطفتين وإن كان لا بد من خلاف بين ثمرة وثمرة وإن قطفتا من شجرة واحدة

والصينيون أولع أمم العالم قاطبة بالمثل السائر والنادرة المنجمة على حسب العبر والوقائع . وليس هـذا بعجيب مع ما هو معلوم من محافظة القوم على شعائر السلف وتبجيلهم لذكرى الآباء والأجداد ورجوعهم بالحكمة كلها إلى عظات الأقدمين . وفى ذلك تأييد لما أسلفناه فى ختام مقالنا السابق عن أمثال الروسيين

قلنا فى ختام ذلك المقال أن إهمال المصريين لرواية الأمثال غير عجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بينهم ، «فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه إنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك ، ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين »

والصينيون يستحدثون اليوم ما يستحدثون فى عادات المعيشة وآداب السلوك ولا يزالون على ديدنهم القديم من تقديس الآباء وتوقير السنن المأثورة عنهم ، فلا جرم يحرصون على الأمثال حرصاً لا نعهده بين المحدثين وطلاب الاستحداث فى أنحاء العالم ، ولا جرم يودعون فى أمثالهم من روح الشعب ما هو أبلغ فى الدلالة عليهم والإبانة عنهم من الأسفار والموسوعات

قال دكتور هنرى هارت فى مقدمة منتخباته من الأمثال الصينية : « كل إنسان فى الصين يتمثل الأمثال ... وقد سمعتها من لسان الأمبراطور كما سمعتها من لسان الخادم الوضيع ، فهى عندهم العملة الجارية فى اللغة ، والدرب المختصر فى المحادثة ، وكثيراً ما تغنى عن المناقشات الطويلة وتحل العقد الشائكة . فيشوق المشاهد أن يصغى إلى المعارك الكلامية التى لا تنى تتردد بين أهل تلك البلاد ، إذ يعرض الخلاف الصغير فيزدحم حوله الجم الكبير من الكسالى والمستطلعين ، وإذ يحتدم المختلفان قليلاً قليلاً وكلهم مولود على استعداد للتمثيل ، فيلوح للمشاهد أن العـ ـ واقع لا محالة وإن لم يكن الصينيون مشهورين بالملاكمة وقليلاً ما يعتدى أحدهم باليد على أخيه ، ثم يتفق فجأة أن يتقدم أحد الواقفين ـ ويغلب أن يكون من الكهول أو الشيوخ ـ فيتكلم ويأتى بمثل موجز موافق للمقام ، فكأنما تلك الكلمة النافذة المحبوكة هي الكلمة التى كان ينتظرها الطرفان المتشاجران ، فتنحل العقدة المعضلة ، ويتراجع الخصمان ، ويتخافت صوتاهما العاليان ، وترتفع ابتسامة فى مكان العبوس ، وتنتهي المشاجرة على خلاف ما يود المشاهدون من طلاب الضجيج والعجيج »

وهذا المشهد الذى وصفه المؤلف قد نراه فى مصر ونذكر الكلمات التى تفض بها مشاجرات الطريق ، فهى فى الغالب أمثال شائعة ، وفى الأغلب عظات من الكتاب والسنة النبوية ، ولكنها فى القرى أعم منها فى الحواضر الكبيرة ، ولحكمة السلف ومقام الشيخوخة فيها أثر غير قليل

ولكنك لا تقرأ مئات الأمثال عندهم ومئات الأمثال عندنا حتى تلمح الفارق بين الأمتين وإن اتفقتا على بعض العادات والخطرات

فأول ما يبدهك من جملة أمثالهم أنهم أبيقوريون يحبون الترف المريح ، ويألفون الدعة الفلسفية التى تسكن إليها النفس كما يسكن إليها الجسد ، ويؤثرون الترشف من النعيم على الغرق فيه ، ويقنعون بتجزئة السعادة إذ لا سبيل إلى السعادة الكاملة التى تدوم ولا يخشى عليها زوال

ومن أبدع أمثالهم التى تنم على هذا المزاج قولهم : « من عاش يوماً خالياً عاش يوماً خالداً » وقولهم : « ألف ريال لا تشترى ضحكة واحدة » ؛ وقولهم : « الأمراض تدخل من الفم والمصائب تخرج منه » ؛ وقولهم : « البركة قلما تقبل أزواجاً ، والمصائب قلما تقبل فرادى »

وقد أوردنا للروسيين مثلاً يعبر عن الفوارق الاجتماعية يقولون فيه : « إن عيوننا تملأها شمس واحدة وبطوننا لا يملأها طعام واحد » . وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه فى معدنه قول الصينيين : « الصيف للجميع والشتاء على حسب الكساء »

وأوردنا للروسيين مثلاً لرشوة الحكام إذ يقولون : « من

باب الطريق صدٌّ ومن باب السر ترحيب » ويشبهه عند الصينيين في موضوع الرشوة وفعل المال في قضاء الحاجات قولهم وهو مختلف بعبارته متفق بمؤداه : « عشرة ريالات تحرك أرباب الهيكل ومائة ريال تحرك السماء نفسها ! »

والقوم معروفون بقدم العهد بالمدنية وحسن الحفاوة في الاستقبال ، وهو ظاهر من تعويلهم في التجارة على الابتسام — إذ يقولون ما فحواه : « إن الذي لا ينفرج فمه بابتسامة لا ينفرج له باب دكان » ومن استعظامهم داء الجلافة إذ يقولون : « إنها داء ليس له عند الطبيب دواء »

ومن قولهم فيما يشبه هذا ويتصل به : « إن فتح دكان لسهل ، وإنما الصعوبة أن يظل مفتوحاً ... »

ومن أمثالهم التي تدل على طبيعة الحذر فيهم أو تدل على نصحهم بالحذر والاحتراس : « احمل مظلتك والسماء صاحية ، وادخر مؤونتك وجوفك شبعان » و « الجمال لا يوقع الرجال — في الشرك ، إنما هم الذين يقعون فيه » و « لا تشتم امرأتك في المساء وإلا نمت وحدك ! » و « المرأة الشائهة والخادمة الغبية كنزان لا يقوّمان » و « لا ترسل الباز حتى تبصر الأرنب » وهكذا في عشرات من الأمثال

وربما كان الصينيون في طليعة الأمم التي هانت فيها أقدار القاتلين وعظمت أقدار الحكماء والنساك ، ولهذا تتواتر عندهم الأمثال التي تدل على نفاسة الحكمة وصعوبة الحصول عليها من قبيل قولهم : « الذهب له ثمن والحكمة بغير ثمن » وقولهم : « طالب العلم كالصاعد في وجه التيار إن لم يتقدم فهو منحدر » وقولهم : « خذ الخمر قطرات والحكمة حبات ! » وقولهم : — المعرفة كنز يتبع صاحبه حيثما ذهب » وقولهم : « العلماء ذخائر الأمم » وقولهم : « من علمني يوماً فهو أبي مدى الحياة »

وقد اشتهروا كذلك بالسكن إلى حياة الأسرة وجيرة الوطن ، فحفلت أمثالهم بالتغني بالبيت والوطن ؛ واجتمع أفضل ما قالوه حول هذا الغرض في مثلين نموذجين أحدهما قولهم : « لا يخلو البيت من راحة ولا خارج البيت من تعب » وقولهم : « لتكن حسناء أو شوهاء فهي بلادي . وليكن قريباً أو غير قريب فهو ابن وطني ! » وربما زادنا علماً بقوام البيت عندهم قولهم : « الزوجة لفضيلتها والخليلة لجمالها »

ومن نماذج السخرية المطمئنة في أمثالهم قولهم : « بائع البطيخ يقول إنه حلو ! » وقولهم : « كلب ينبح على شيء ، وألف كلب تنبح على نباحه » وقولهم : « تولد ولا تحضر حفلتنا شيئاً ، وتموت ولا تذهب بشيء » وقولهم : « الغراب أسود هنا وأسود في كل مكان » وقولهم : « إذا خلقت السماء إنساناً فله طلب لا محالة ! »

وهم قدريون كالروسيين أو قدريون كعامة الشرقيين ، فليس أكثر في أمثالهم من التسليم للقدر وقلة الجدوى في خلافه على تعدد في اللفظ وتوحد في المعنى ، كما يقولون ، وفيه شيء من سخريتهم : « يقول الإنسان هكذا هكذا ، وتقول السماء ليس كذلك ليس كذلك ! » أو يقولون : « ما يبرمه القضاء لا ينقضه إنسان » أو يقولون : « من خلق للسعادة فلا يعجل وراءها » أو يقولون « كل كأس وكل لقمة مقدرتان لفم ، لا يأخذهما غيره »

* * *

ولا نهاية للمواضع والمناسبات التي يستشهد فيها ببعض هذه الأمثال الصينية التي يخطئها الإحصاء

إلا أن الشاهد الأكبر فيما نحن بصدده هو هذا الاهتمام من قبل الأمم الغربية بكل جانب من جوانب البحث في البلدان التي تلتفت إليها أنظار الناس على أثر الحوادث الحربية أو السياسية التي تقع فيها . فما مضت أشهر على اشتغال الصحف بقضية الصين حتى امتلأت رفوف المكتبات بالمجلات والرسائل والمجلدات عن كل شيء يعرف — أو ينبغي أن يعرف — من أحوال تلك البلاد ، فهذا يكتب عن النهضة الصينية ، وذاك يكتب عن زعماء الصين ، وغيرهما عن تاريخ السياسة الأوربية في الشرق الأقصى ، وغيرهم يكتب عن فن الصين أو أغاني الصين أو عقائد الصين أو محاسن الصين ، إلى أشباه ذلك مما يقترن بالصين وأبنائها ولو من بعيد

ومثل هذا حدث في اهتمامهم بروسيا بعد ثورتها الاجتماعية أو بعد حربها الأخيرة مع النازية ، ويحدث مثله كذلك حول كل مسألة من المسائل القومية أو العالمية التي ترتبط ببلد من البلدان ، حتى ليصح أن يقال إن الحرب عندهم ليست شراً محضاً يجلب الخراب وينزل بالبلاء ثم ينتهي أثره عند ذلك ، لأنها في الواقع سبيل من سبل المعرفة وباب من أبواب التعارف ، وطريق إلى كشف الظلمات عن مجاهل العالم قاصيه ودانيه

عباس محمود العقاد